المقدمـــة

إن من أوليات الحفاظ على الذات الحضارية ، علم المرء بلغته وقدرته على التعبير والإبداع العلمى فيها فى كل نواحى العلوم المختلفة . كذلك فمن المعلوم أن اللغة إذا كانت تحيا بتركيبها فإنها أيضاً تحيا بأهلها ، وتحظى بالذيوع والانتشار عندما يكونون قد حققوا إنجازات يعتد بها فى التطور الحضارى ، وتكون سيدة اللغات حين يتسنم أهلها قمة السلم الحضارى فى العالم . ولعل مؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وجابر والخوارزمى والزهراوى والصوفى وابن يونس وابن النفيس وغيرهم ، تدل أوضح دلالة على ما ذكرناه ، فالمطلع على هذا الثراء الحضارى والذخيرة العلمية التى ورثناها عن أسلافنا الأماجد ليتملكه الإعجاب والإكبار بهؤلاء الأعلام ، لما يراه من أسلوب علمى أخّاذ كُتب بلغة عربية رصينة ، لغةً سطر بها هؤلاء العباقرة مؤلفاتهم فى الفلك والرياضيات والضوء والهندسة وعلوم الحياة والكيمياء والطب والبيطرة والزراعة والجيولوجيا ، ... الخ .

لقد طوَّع علماء الحضارة العربية الإسلامية لغتهم العربية لمصطلحات هذه العلوم الكونية والطبيعية والأحيائية وشتى فروع الفنون والآداب ، فأنتجوا حضارة توصف حقاً بأنها « حضارة القمة » تلك هى حضارتنا العربية الإسلامية التى انتشرت فى بقاع الدنيا قاطبة ، ونفذ نورها فى أرجاء المعمورة قرابة عشرة قرون (من القرن السادس إلى السادس عشر الميلادى) . « إن مصنفات الفنون والعلوم الرياضية والأدبية والفلسفية والقانونية ذخيرة لغوية كانت هى القوام الأساسى للتفاهم بين العلماء والتعبير عن أعمق النظريات التقنية يوم كانت الحضارة العربية فى عنفوان ازدهارها ... ويكفى أن تتصفح كتاباً علمياً أو فلسفياً لتدرك مدى هذه القوة وتلك السعة الخارقة ، ففى العربية إذاً مقدرات شاسعة لا يتوقف حسن استغلالها إلّا على مدى ضلاعتنا فى فقه اللغة » .

ولكن الإنسان يستطيع ـ حين يستعرض حال العربية الفصحى فى البلاد العربية اليوم ـ أن يجزم بأن هذه اللغة تعيش أزمة حادة تتمثل فى عزلتها ـ مفردات وتعبيرات ـ عما يجرى على ألسنة الناس فى كل مكان ، فالكثير مما يستخدمه الناس

ويشربونه ويأكلونه ويلبسونه مستورد ، فهو إذاً موضوع بلفظه الأجنبى ، ومن ثم يعرفه الناس بتلك الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية ، وهذه محنة أخرى من المحن التى ابتليت بها العربية فى عصرنا الحاضر ، إضافة إلى الضعف العام الذى أصابها على ألسنة الكثيرين من المدرسين والطلاب وغيرهم من قطاعات المجتمع عامة .

ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم الذى عَبَّر عن شكوى العربية الفصحى مما وقع لها من أهلها وما يُدَبَّر لها من كيد ومكر :

رجعتُ لنفسى فاتَّهمْتُ حَصَاتى ... ونادیتُ قومى فاحتسبْتُ حياتى
رمونى بعقْمٍ فى الشباب وليتنى ... عقمتُ فلم أجزع لقول عُداتى
وَسِعْتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آىٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ ... وتنسيق أسماءٍ لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل ساءلوا الغوّاص عن صدفاتى ؟!

إننا نحن أبناء العربية المعاصرين إذا أخلصنا النوايا وشحذنا الهمم وأمضينا العزائم على النهوض بالأمة العربية والإسلامية فى عصرنا الحالى كى تصعد لتتصدر قمة السلم الحضارى كسالف عهدها ، علينا أن نعد العدة لذلك ونأخذ بالأسباب والوسائل ، ومن هذه الأسباب وتلك الوسائل ، بل ومن المقومات الرئيسية لهذه الحضارة الجديدة أن نتخذ لغتنا العربية لغة للعلوم والآداب والفنون ومختلف جوانب الحضارة القادمة إن شاء الله . ولئن كُتب عن هذه القضية الكثير ، فإنها ما تزال بحاجة إلى المزيد من الشرح والإيضاح ، ذلك أنها لم تجد حتى الآن حلاً على الرغم من أنها تبدو للوهلة الأولى من البداهة بمكان .

هكذا أصبح واجباً علينا أن نعرض للقضية عرضاً يليق بجلال لغة الضاد العالمية العظيمة ، ومن هنا جاء وضعنا للكتاب الحالى ، وقد بدأناه ببيان تأثير اللغة العربية فى اللغات الحية الأخرى ، ومرونتها فى اقتراض بعض المفردات من اللغات المجاورة . ثم أشرنا بشىء من التفصيل إلى الحملات الحاقدة التى أدت إلى ـ بل وتريد المزيد من ـ تدهور العربية أو حتى موتها واعتبارها لغة أثرية كاللاتينية وغيرها من اللغات المندثرة . وحتى نرد كيد هؤلاء فى نحورهم عمدنا إلى عرض أهم خصائص اللغة العربية والتى تُعدُّ عوامل بقاءها حية على مر العصور ، ثم عرجنا على توضيح المساوىء التى يجلبها تعليم العلوم لأبناء الأمة

بلغات أجنبية عنهم ، مع اعترافنا بأهمية الطلاب لغة أجنبية واحدة أو أكثر أثناء سنى الدراسة حتى يتمكنوا من التعرف على جوانب التطور العلمى والتقدم التقنى الذى يتميز به العالم الغربى أو الشرق بلغاته .

بعد ذلك عرضنا للتعريب بين الأمس واليوم ، الأمس حيث الحركة العظمى للترجمة والتعريب فى العصر الأموى والعصر العباسى فى العالم العربى والإسلامى ، ثم اليوم حيث التجارب والمحاولات العربية فى مجال تعريب العلوم والفنون والمعارف عامة . أما الكتابة العلمية باللغة العربية : نقلاً وإبداعاً ، فقد ناقشناها فى باب يضم عدة فصول تشرح جوانب متشعبة فى هذه القضية المصيرية فى حياة أمتنا العربية والإسلامية ، وخاصة ما يتعلق بعملية وضع المصطلحات العلمية والجهود المبذولة من أجل توحيد المصطلح العلمى فى البلاد العربية .. ولا يفوتنا أن نعرض للإسهامات التى أدلت بها بعض الجهات المجمعية والجامعية والتعليمية وغيرها من جهات عربية وأخرى أجنبية ، فى هذا الباب قبل الأخير ، أما الباب الأخير فقد جعلناه لبحث الحركة المعجمية ودور المعاجم والقواميس العلمية فى قضية التعريب ، وقد استلزم هذا منا متابعة لأهم المعاجم والقواميس المتداولة الآن .

وبعد ، فإنه لابد لنا نحن أبناء العربية الفصحى من وقفة مصيرية كبرى لنتفحص فيها الأمر ونناقش فيها المشكلة ونتدارس فيها سبل الحل وطرائق العلاج ، قبل أن تصبح لغتنا غريبة فى بلادها منبوذة بين أهلها !! ندعو الله العلى القدير أن يمدنا بالعون والرشد حتى نستطيع أن نعيد للغتنا العربية التى هى لغة القرآن المجيد ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، نعيد لها مجدها ونسترجع عزها وازدهارها . والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

دكتور كارم غنيم

الجيزة فى غرة ربيع الأول ١٤١٠ هـ
أول أكتوبر ١٩٨٩ م